هذه الدنيا:

فى تركيا:

البوظة تطيل العمر!

جميل عارف

بعيدا عن السياسة.. ماذا تعرف عن جمهورية تركيا التى تربطنا بها علاقات تاريخية قديمة منذ كانت مصر ولاية عثمانية؟.. وماهى حكاية «البوظة التركية» التى يشربها الأتراك بشراهة اعتقادا منهم أنها تضفى على الإنسان قوة وتطيل العمر!..

● أثار أنتباهى ، وأنا أتجول فى شوارع استانبول نوع غريب من الطوابير يشبه إلى حد كبير طوابير الجمعية عندنا ..

إنها طوابير لا ينتظر أصحابها الساعات الطويلة من أجل أن يحصل كل واحد من الواقفين فيها على صفيحة من مسحوق ، أو زوج من فراخ الجمعية ..

ولكنها طوابير ينزل أصحابها من السيارات الفاخرة ، وأحيانا من فوق الدراجات البخارية ، ولا يهم أن يقف الواحد منهم ٣٠ دقيقة من أجل أن يشرب عندما يصل إلى دوره كوبا أو كوبين من مشروب منعش يطلق عليه اسم « البوظة » ..

ولن تصدق .. أن هذه الطوابير التى تمتد لساعات طويلة أمام محلات « البوظة » تعتبر من معالم الحياة فى مدينة كبيرة كمدينة استانبول ..

وكما نهمت .. أن الاتراك يقبلون على شرب هذه « البوظة » أعتقادا منهم أنهم تضفى على الإنسان نشاطا وقوة ، وأهم من ذلك أنها تطيل العمر !.

وفى تركيا تدرت إحصائية رسمية متوسط عمر الإنسان التركى بحوالى ٦٧ سنة ..

وتقول لهم : هل توجد علاقة بين هذا المتوسط المرتفع للأعمار وشرب « البوظة »

وتسمع من يرد عليك بقوله :

ـ إنهم يعلمون الطفل عندما يشب شرب هذه « البوظة » ، وهم يصنعونها فى البيوت ، وقد جرت عادتهم على تقديمها للضيوف بدلا من الشاى والقهوة ..

●●●

● وأنا نفسى تذوقت هذه البوظة التركية ..

إنها ليست « كالبوظة » فى مصر ، فهى مصنوعة من القرة ، وغير محمرة !..

وطعم هذه البوظة غريب وعجيب فلا هو بالحلو ولا هو بالمالح ..

وفى مدينة استانبول عشرات المحلات تبيع هذه البوظة ، ولكن أشهرها محلان يتنافس كل منهما مع الآخر فى طول الطوابير التى تمتد بجواره ويقف فيها هواة شرب البوظة ..

● أولها :

محل تقوم شهرته على أن كمال أتاتورك لم يكن يشرب « البوظة » إلا فيه ..

ويحتفظ أصحاب هذا المحل ، وهو قريب من مسجد « السليمانية » الشهير فى مدينة استانبول ، فى محلهم بالكوب التى كان أتاتورك يشرب فيها « البوظة » ..

وهذه الكوب التاريخية لها قاعدة مصنوعة من الذهب !.

● والمحل الثانى :

لا يبعد أكثر من عدة خطوات من السوق القديمة فى مدينة استانبول وقد اشتهر باسم محل الحاج سنان .. وهذا المحل عمره أكثر من ٨٥ سنة ، وقد مات صاحبه منذ عدة سنوات ليشرف أولاده على إدارته ...

إنه لا يقل شهرة عن محلات الحاج بكير التى تخصصت فى بيع الحلويات التركية ..

● أشهر خنجر فى العالم .. خنجر السلطان بقصر (كوبى كوبلى) .. انه من الذهب المحالص ومرصع بالجواهر والماس . وكانت احدى شركات السينما العالمية قد قامت بانتاج فيلم سينمائى عن محاولة سرقته من متحف قصر (كوبى كوبلى) واطلقت على الفيلم اسم الخنجر !

● كان الاتراك يتناخرون بتربية شوارب وقد اختفت هذه الشوارب الكبيرة الآن

وروى لى ابن الحاج سنان ، عندما عرف أننى من مصر ، قصة مثيرة قال إن والده كان يرويها دائما لهواة شرب البيرة ..

إن اسمه محمد .. أو « مهمت » كما ينطقونها باللغة التركية !..

قال لى .. إن والده فوجىء فى حوالى سنة ١٩٢٠ بشيخ مهيب يدخل عليه محله ثم يقول له وهو فى أشد حالات الغضب :

ـ كيف تبيع « البوظة » يارجل ، وعلى قيد خطوات من محلك أحد بيوت الله ؟ ..

رابتم الحاج سنان وهو يسأل الشيخ الثائر عن شخصيته ..

وكانت مفاجأة عندما عرف أنه الشيخ محمد بخيت ، مفتى الديار المصرية فى تلك الأيام وكان فى زيارة لمدينة أستانبول ..

وأخذ الحاج سنان يفهفه ، وهو يقول للشيخ :

ـ شيخ الإسلام .. « جوزيل .. جوزيل » .. أى جميل جميل باللغة التركية ..

ثم أخذ يشرح له قصة البوظة التركية ، وكيف إنها تختلف عن « بوظة » بوظة مصر ..

● كانت عادة السلاطين العثمانين أن يسجلوا تاريخهم على قطع القماش الملون . ويحتفظ الاتراك فى متحف (كوبى كوبلى) بحوالى ١٢,٦٠٠ قطعة من هذه تروى تاريخ الدولة العثمانية كله . ويظهر فى واحدة من القطعتين مجلس السلطان . وإلى جواره الوزير الأكبر .. وفى الثانية أحد مجالس الأنس فى قصر السلطان !

ولم يخرج شيخ الإسلام من محل الحاج سنان إلا وقد شرب قدحين من « البوظة » !..

●●●

● وتجول فى مدينة استانبول تثير انتباهك كثرة المساجد التى تنتشر فى أرجائها..

إن فيها ١٢٧٤ مسجدا.. لها ٤٠٠٠ مئذنة ترتفع فى السماء، وتربع على مدينة استانبول بالفعل اسم مدينة المآذن..

وتعود كثرة المساجد فى المدينة إلى تنافس السلاطين العثمانيين على بنائها.. ذلك ما يروونه.. أن السلطان محمد الفاتح استدعى ذات يوم كبير مهندسيه، ثم قال له:

ـ أريد منك أن تبنى مسجدا له مآذن من الذهب..

وكلمة الذهب اسمها.. « ألتن » باللغة التركية..

وخرج كبير المهندسين من حضرة السلطان، وهو فى أشد حالات الحيرة، وكان فى رأيه أن بناء المآذن من الذهب بذخ مخيف لا تقوى عليه خزانة الدولة..

وأخذ الرجل يفكر فيما يمكن أن يفعله تنفيذا لرغبة السلطان..

وأخيرا اهتدى إلى مخرج، وكان أن قام ببناء المسجد.. ثم بنى له ست مآذن عادية من الحجارة..

وجاء السلطان لمشاهدة المسجد فلم يتمالك نفسه من الغضب، ثم بادر باستدعاء كبير مهندسيه، وقال له ثائرا:

ـ ألم أطلب منك أن تبنى هذه المآذن من « الألتن » .. أى من الذهب.

وكان رد كبير المهندسين:

ـ يامولاى السلطان.. لقد سمعتك تقول لى.. اجعلها « ألته » ..

وألته باللغة التركية تعنى « ستة » !.

ولم يقل السلطان شيئا، فقد كان المسجد قد تم بنائه، ولأن الفرق بين « ألتن » ... أى الذهب.. وألته أى ستة.. بسيط للغاية !.

أنها قصة طريفة، رهم يروونها فى استانبول للسائحين الذين يتدفقون على تركيا من مختلف بلاد العالم..

ونقول: هل كل المساجد الموجودة فى مدينة استانبول بنيت أيام الخلفاء العثمانيين؟..

ونسمع الجواب يقول:

ـ إنا كان فى مدينة استانبول ١٢٧٤ مسجدا، فإن ٨١٠ مساجد منها بنيت فى أيام الجمهورية.. أى بعد ثورة كمال أتاتورك على الخلافة !..

●●●

وفى مدينة استانبول أخذت أتجول بين قصور السلاطين لما تحتوى عليه من تحف وروائع فنية.. كنت أريد أن أعرف.. كيف استطاع الشعب التركى، بعد أن قام أتاتورك بالتخلص من حكم العثمانيين، أن

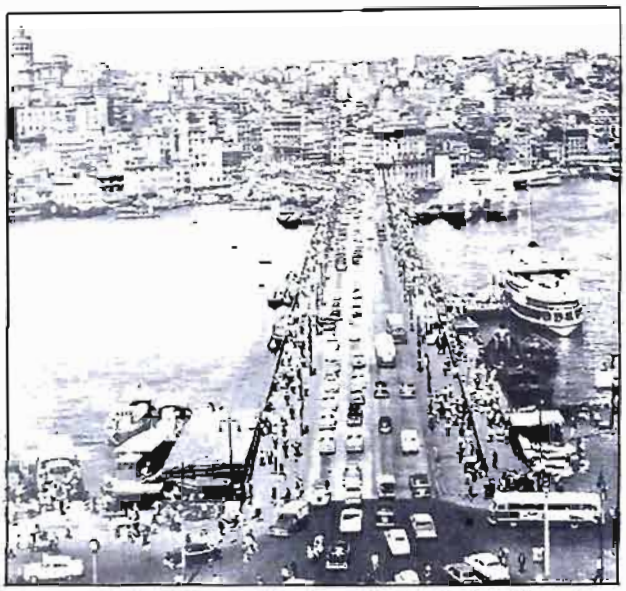

● كوبرى جالتا.. أو بالتا الذى يربط بين قارتى آسيا وأوربا.. ان الحياة فوقه لا تتوقف ليل نهار لتصل بين شطرى المدينة التى تمتد فى أوربا وفى آسيا.

يحافظ على ماكانت تحتوى عليه هذه القصور من كنوز باعتبارها من تراث شعب تركيا القومى.

وذهبت إلى واحد من هذه القصور، وهو قصر يلدز المقر الرسمى لإدارة الحكم ايام العثمانيين..

ورأيت كيف تركت تركيا بعد ثورة كمال أتاتورك كل شىء فى هذا القصر على ماكان عليه..

وقصر « يلدز » ليس أفخم قصور السلاطين، لأن أفخمها جميعا، هو قصر « ضولمة بهجة » الذى يطل على البسفور..

« وضولمة » باللغة التركية تعنى « محشى »..

وبهجة » بنفس اللغة التركية تعنى نفس معناها باللغة العربية..

وقد أطلق اسم « ضولمة بهجة » على هذا القصر لأن مكانه كان جزءا من البسفور وقد تم ردم هذا الجزء بالحجارة لبنى القصر فوقه..

وتمنع السلطات التركية فى الوقت الحاضر زيارة هذا القصر للمحافظة على ما يحتوى عليه من كنوز أثرية تقدرت قيمتها بأكثر من ٥٠٠ مليون جنيه استرلينى.

وكما فهمت يقدر الخبراء وزن كمية الذهب التى استخدمت فى ديكورات هذا القصر بحوالى ٣٠٠ طن..

إن حوائطه وسقوفه مطلية بالذهب، وقد استغرق بناؤه ١٤ سنه كاملة..

وأنا نفسى أخذت أتلفت حولى وأنا أصعد سلالم هذا القصر بعد أن سمح لى بزيارته بترخيص خاص..

إن الفخامة التى تشع منه لا تصدق ولا يمكن أن يتصورها أى خيال مهما كان مبدعا فى التصور والأحلام..

● ولعل أجمل ما يحتوى عليه ضولمة بهجة تحفتان.. أولاهما: تحفة من البللور أهداها الإمبراطور غليوم للسلطان عبد الحميد، وهى معلقة فى قاعة الاحتفالات الكبرى بالقصر الكبير، ويبلغ وزن هذه التحفة الفريدة ثلاثة أطنان ونصف طن..

وهى تضاء بـ ٤٦٠ شمعة !.

وثانيتهما: حمام السلطان عبد الحميد، وهو مصنوع من رخام يشبه المرمر وهو على درجة رائعة من الجمال، ويقولون إنه قد استورد من مصر..

وكان سلاطين آل عثمان يطلقون على هذا الحمام اسم: الحمام المصرى !.

●●●

● ولا يعرف كثيرون أن كمال أتاتورك كان قد خصص فى هذا القصر غرفة حجرات ليظل فيها كلما جاء إلى استانبول بعد أن قام ببناء مدينة أنقره فى قلب الأناضول، لتكون عاصمة لتركيا فى عهد الجمهورية..

وكان أتاتورك يقيم فى إحدى حجرات هذا القصر عندما أصيب بالمرض الذى أقعده طريح الفراش حتى مات..

وأراد الأتراك، كما حافظوا على تراث آل عثمان، أن يحافظوا على كل معالم حياة زعيم نهضتهم فى لحظاته الأخيرة..

وكان أن حولوا الحجرة التى مات فيها إلى متحف..

وفى هذه الحجرة رأيت كيف أنهم يحتفظون بكل شىء فى الحجرة كما كان فى لحظة وفاته..

حتى الساعة أوقفوا عقاربها عند الساعة التاسعة إلا عشر دقائق عندما لفظ أتاتورك أنفاسه الأخيرة تخليدا لذكراه..

ومما سمعته أن الإمبراطورة أوجينى زوجة نابليون الثالث كانت قد مرت بمدينة استانبول فى طريق عودتها من مصر إلى فرنسا بعد اشتراكها فى احتفالات افتتاح قناة السويس..

وأعجب السلطان عبد الحميد، وكان يتربع على عرش الخلافة فى تلك الأيام، بجمال الإمبراطورة التى سحرت الخديو إسماعيل من قبله..

وكان أن استضافها فى قصر « ضولمة بهجة »..

وكما شهدت مصر غراميات أوجينى وإسماعيل، شهدت مياه البسفور التى يطل عليها القصر الكبير غراميات أخرى بين الخليفة العثمانى والإمبراطورة الفرنسية الحسناء !.

ومما يقولونه أيضا.. أن الجنرال ديجول عندما قام بزيارته الرسمية لتركيا، طلب السماح له بأن يبيت ليلتين فى قصر « ضولمة بهجة »..

ونزلت الحكومة التركية عند رغبته، ليقضى ديجول ليلتين بين كنوز الملك سليمان التى يمتلىء بها القصر الكبير !.

●●●

● وتذهب إلى القصر آخر من قصور آل عثمان وهو قصر « كوبلى كوبلى »..

إنه أحد القصور التى حولوها هى الأخرى إلى متاحف لخلفاء العثمانيين..

وفى أحد أجنحة هذا القصر شاهدت قاعة تمتلىء بالتحف والآثار الإسلامية النادرة..

إن فيها كما يقولون النسخة الأصلية للرسالة المكتوبة على جلد الغزال، والتى قيل إن الرسول قد بعث بها إلى هرقل ملك الروم فى القاهرة..

وفيها أيضا سيوف الخليفتين الراشدين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما..

وفيها بعض المصاحف القديمة التى يرجع تاريخها إلى أيام الخلفاء الراشدين..

ويعترف الأتراك فى اللوحات التى يعلقونها فى هذا الجناح، وهى مكتوبة باللغات الإنجليزية والفرنسية والتركية، بأن كل هذه المخلفات الإسلامية كانت فى مصر، وقد حملها السلطان سليم معه من القاهرة بعد أن قام بغزو مصر منذ حوالى ٥٠٠ سنة !.

إن تاريخ تركيا كله فى هذا القصر الذى تحول إلى متحف.. بقى أن تعرف أن كوبلى تعنى الباب باللغة التركية.. أما كوبلى فتعنى المدفع !..

●● وقد أطلق السلاطين العثمانيون اسم « بوابة المدافع » على هذا القصر تخليدا لذكرى هامة فى تاريخ الدولة العثمانية. فقد كان موقع هذا القصر فى نفس المكان الذى استطاع فيه السلطان محمد الفاتح أن يفتح لجيشه ثغرة فى أسوار مدينة استانبول..

وكانت هذه الثغرة هى التى دخلت منها قواته مدينة استانبول لتقضى على دولة الروم..

ولتدخل تركيا فى الإسلام !. ●

دار المعارف

صفحات من الود والإجلال والتقدير لكل المعلمين .. من خلال قصة كفاح واحد من الرواد الذين أضاءوا الدرب من أمامهم .. وبثوا مطامح من دمهم وقلوبهم .. وهيأوا طريق الأمل للأجيال الصاعدة فاستحقوا من أبنائهم كلمة حب ووفاء صادقة

١٢٠ صفحة

رحلة تاريخية فنية مع الغناء وتطوره في المدينة ومكة أثناء العصر الأموي .. وكيف أصبحت له نظرية معقدة في مصطلحاته الموسيقية شارك في وضعها كثير من الفنيين .. مع دراسة مفصلة لأغاني الفيل وترجمة دقيقة لشعراء تلك الفترة

٣٣٦ صفحة ـ قطع كبير

بحث تاريخي وتحليل أدبي لتلك البيئة التي تناقض فيها كل شيء .. وحولت الصفوة من أبنائها هذا التناقض إلى ضروب متناغمة في الفنون والعلوم والآداب .. لفتت الأنظار وجذبت النفوس إلى تاريخ أدبنا العظيم .

٥٠٠ صفحة ـ قطع كبير

رعيم من زعماء العرب دافع عن القضية العربية في جامعة الأمم بجنيف . وظل طيلة ربع قرن يكافح ويناضل بقلمه ولسانه والأمير شكيب خدمات جليلة في خدمة التراث العربي . نشر وحقق وألف وترجم وكتب ونقد . فتلاقت في صفحات كتبه ومقالاته آمال بلاده وآمال قومه ..

٣٨٤ صفحة قطع كبير